أزمة عام الرمادة الاقتصادية سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م
من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الدكتور عبد الله طه عبد الله ناصر السلماني
كلية التربية / جامعة الموصل – العراق

ملخص البحث:

في التاريخ البشري باختلافه، تتعرض الأوضاع الاقتصادية لشعب من شعوب الأرض للكثير من الازمات الاقتصادية، وبالأخص تلك المفاجئة والطارئة، التي يكون لها تأثير خطير في المجتمع.

يلهمنا التاريخ الكثير من الدروس البليغة، وسيبقى قادرا على ذلك مما يفيدنا في حياتنا المعاصرة وفي بيان قدرة الإرادة الإنسانية على التقدم ، وتبصرنا معرفة أحوال المجتمعات في الماضي، وكيفية تطورها بالعوامل المؤثرة في تيارات القوى التي تحركها الدوافع.

وقد تعرضت العديد من الدول إلى المشكلات والازمات الاقتصادية عبر التاريخ، وفي تاريخنا العربي الاسلامي انموذج على حل هذه الأزمات ، وهو عام الرمادة سنة ١٨هـ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، اذ أصاب المدينة المنورة وما جاورها من المدن والبلاد، أزمة اقتصادية من قحط وجوع، وقلة امطار، أهلكت الناس وقد وقفنا في البحث على أبعاد هذه الأزمة وآثارها وما اتخذ من إجراء في مواجهتها حتى صرفها الله عن الأمة وانقذها من وطأتها.

وقد قسم البحث على عدة مباحث كما يأتي:-

١- سبب تسمية العام "عام الرمادة": وذلك ان الأرض كانت قد اسودت بسبب قلة الأمطار، وهذا دليل على ان أرض المدينة المنورة وما حولها محلت بسبب قلة الأمطار والجفاف الذي أصاب المنطقة.

٢- تاريخ الأزمة الاقتصادية: اختلف المؤرخون في تحديد عام الرمادة، فذهب الرأي الاول إلى تحديد سنة ١٨ هـ، فقد ذكر عدد من المؤرخين كان في مقدمتهم ابن اسحاق (ت ١٥١ هـ)، وأبو معشر السندي (ت ١٧١ هـ) ثم تابعهم المؤرخون فيما بعد، والرأي الثاني ذهب إلى تحديد سنة ١٧ هـ عام الرمادة.

٣- سبب الأزمة الاقتصادية: ذكر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله هي إرادة الله سبحانه وتعالى، شاءت ان يحبس المطر، وأدى إلى الجفاف، الذي أصاب الأرض والناس.

٤- أهم الإجراءات التي اتخذها بها الخليفة من أجل مواجهة الأزمة الاقتصادية: فقد قال الخليفة عمر بن الخطاب يصف الأزمة الاقتصادية لئن أصاب الناس سنة لانفقن عليهم من مال الله ما وجدت درهماً: فان لم أجد أحدا الزمت رجلا رجلا: يقصد بهذا الكلام انه يتقاسم الرجلان من الاكل من أجل سد رمق الحياة ولقد اتخذ الخليفة رضي الله عنه مجموعة خطوات من أجل مواجهة الأزمة الاقتصادية.

أ- ضرب من نفسه قدوة للناس: أقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على نفسه ان لا يذوق سمنا، ولا عسلا، ولا لبنا، ولا لحما، حتى يأكل الناس جميعا، وتنتهي الأزمة الاقتصادية.

ب- الاستعانة بالله: قال عمر بن الخطاب أدعو الله ان يذهب هذا المحل، وقلة الأمطار وكان هو يدعو الله في أثناء تجواله في المدينة المنورة وهو يتفقد أحوال الرعية.

ج- صلاة الاستسقاء: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ولاة الأقاليم ان يخرجوا يوم كذا، وساعة كذا، وان يتضرعوا إلى الله سبحانه وتعالى ويطلبون منه ان يرفع الجفاف ويرسل الأمطار وان يزيل هذه المجاعة التي أصابت الناس، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مقولته المشهورة: اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة، ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد فزع الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت أعلم بالسر والخفى، اللهم فأعنهم على هذه الأزمة.

د- توزيع المواد الغذائية على الأعراب وكان التوزيع يكون من دار الدقيق، وهي من أهم المؤسسات الاقتصادية في أيام عمر بن الخطاب، وكان يوزع المؤن والأكل والمواد الغذائية على الوافدين على المدينة فيوزع الدقيق، والسويق، والتمر، والزبيب وهي كلها مخزونة في الدار، قبل أن تأتيه المؤن من المواد الغذائية من مصر والشام والعراق وخراسان مما يدل على التفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تطوير مؤسسات الدولة الاقتصادية.

هـ- أوقف إقامة الحد عام الرمادة: وليس هو العمل تعطيلا لهذا الحد، كما يرى عدد من الكتاب بل لان شروط التنفيذ لم تكن متوفرة، فأوقف حد السرقة لهذا السبب، ولعام واحد فقط.

و- تأخير دفع الزكاة: فتوقف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن إلزام دفع الزكاة عام الرمادة، إلا أن انتهت المجاعة، وذهبت الأزمة الاقتصادية وبدأت

الأرض بالإنتاج من جديد، عودة الحياة إلى طبيعتها ، وبعد ذلك بدأ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأخذ الزكاة وجمعها من الناس، وبهذا نستطيع ان نقول: تلك هي القيادة الناجحة والقدوة الحسنة، وذلك هو القرار الصائب والإرادة الفاعلة، والإجراءات الهادفة من تنظيم شؤون الأمة، وإشراف الدولة العربية الإسلامية على حاجيات الناس والسهر على أمنهم وراحتهم.

أما المشكلات التي واجهتنا في البحث فهي قلة المصادر والمراجع التي كتبت عن الموضوع، فضلا عن الإضافة الشحيحة التي واجهتنا في كتب التاريخ عن الموضوع إذ دأب المؤرخون في متابعة احدهم الآخر في رواية الحادثة، وعلى الرغم من ذلك أو بفضل الله تعالى استطعنا أن نتجاوز هذا الآمر بالاستعانة بالمراجع الحديثة التي كتبت عن الموضوع.

ومن الله التوفيق

أزمة عام الرمادة الاقتصادية سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م
من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

في التاريخ البشري المختلف تتعرض الأوضاع الاقتصادية شعب من شعوب الأرض، إلى كثير من الازمات، بالأخص تلك المفاجئة والطارئة، التي يكون لها تأثير خطير، وبالأخص في العصور التاريخية المبكرة، فلم يذكر التاريخ حالة انكماش واختلال في أمور الحياة، إلا ورافقها تدهور في الأوضاع الاقتصادية، وقد حفلت كتب التاريخ العربي الإسلامي بأدلة وأحداث كثيرة، شهدت غلاء الأسعار، والقحط، وتدهور في الحياة الاقتصادية، ورافقها انتشار الأمراض والأوبئة، وفقدان الأمن والنظام(١).

وهنا تبرز أهمية حياة الشخصية التاريخية، التي تعلم الناس دروسا في الحكمة، وتدبير الأمور والأحداث، وقد تعرضت الدول إلى العديد من الأزمات الاقتصادية، التي تستلزم من القيادات ان تعمل على عبورها، وتكريس الجهد للتغلب عليها، فليس من العيب ان تنبت وتحدث المشكلات على طريق العمل، وتثور الأزمات في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، فاقتحام المشكل وعبور الأزمات، هو دليل حياة وبشير أمل من أجل تجاوز الأزمة الاقتصادية(٢).

وعام الرمادة سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م من خلافة عمر بن الخطاب أنموذج شاهد على هذه الأزمات ، إذ أصاب المدينة المنورة وما حولها، قحط وجوع ونقص شديد في الغذاء بعد أن أمسكت عن ذلك أزمة اقتصادية حادة حلت بالمجتمع العربي الإسلامي في المدينة المنورة وبقية أطراف شبه جزيرة العرب(٣)، والتي سنتكلم عن هذه الأزمة بالشكل الآتي:-

أولاً: سبب تسمية العام الرمادة

وقد تعددت الآراء في تعليل التسمية، التي أطلقها المؤرخون على عام الرمادة، واقتران تسمية ذلك العام بها(٤). فقال ابن منظور (ت ٧١١ هـ) عام الرمادة، معروف سمي بذلك الاسم، لان الناس والأموال هلكت فيه، وقيل هي الجدب: تتابع النظر فتبصر الأرض والشجر، مثل لون الرمادة(٥).

---

(١) الظاهر، خالد خليل، عام الرمادة والأزمة الاقتصادية سنة ١٨ هـ، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٣٤) ، السنة الثالثة عشر، ١٤٠٩ هـ / ١٩٩٨م، ص١٨٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٠-١٨١.

(٣) المرجع نفسه، ص١٨٠-١٨١.

(٤) المرجع نفسه، ص١٨١.

(٥) ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة، بلا تاريخ، ج٤، ص١٦٧-١٦٨.

وسميت عام الرمادة لان الأرض اسودت بسبب قلة الأمطار، حتى أصبح لونها شبيها بالرماد، وقيل أنها كانت تسفي الريح ترابا كالرمادة[٦]. إذن نلخص هذا القول: ان الرمد: تعني الشيء جعله من الرماد أي أمحلوا: لم يبق لهم شئ، وصار لون الأرض مثل لون الرماد[٧].

وهذا دليل على ان الأرض في المدينة المنورة وما حولها، وبالاحرى شبه جزيرة العرب قد امحلت بسبب قلة الأمطار، وهذا الجدب فقلة الغذاء والرزق قد أثر في الناس والزروع والمواشي وقد وصف ابن سعد (٢٣٠ هـ) الحالة بقوله: وقد أجدبت الناس سنة ١٨ هـ بأرض الحجاز، وتوجه الناس إلى المدينة المنورة، مركز الخلافة الإسلامية، ولم يبق أحدا منهم في البادية، وكانت مدة الأزمة هي تسعة أشهر[٨]. فقد قام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين بإنفاق الأموال من بيت مال المسلمين وتقديما إلى الناس الذي هم بأمس الحاجة إلى الغذاء والملابس بسبب عام المجاعة[٩].

ثانيا: تاريخ الأزمة الاقتصادية:

اختلف المؤرخون في تحديد عام الرمادة الى رأيين فذهب الأول فرأى ان عام الرمادة كان سنة ثماني عشرة من الهجرة النبوية الشريفة، والى ذلك ذهب ابن اسحاق (ت ١٥١ هـ)، وابو معشر السندي (ت ١٧٠ هـ) [١٠] ومحمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) [١١]، وخليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) [١٢]، واليعقوبي (ت ٢٩١ هـ) [١٣]، ومحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) [١٤]، وابن حبان البستي[١٥]، وابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ) [١٦]، والذهبي

---

(٦) خليفة بن خياط، التاريخ، راجعة وضبطه، مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ص٧٦.

(٧) المنجد في اللغة والإعلام، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٦م، كلمة رمد.

(٨) ابن سعد، محمد بن سعد ابن منيع، الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م، ج٣، ص٢٨٨.

(٩) الظاهر، خالد خليل، عام الرمادة والأزمة الاقتصادية، ص١٨١.

(١٠) المرجع نفسه، ص١٨١.

(١١) ابن سعد، الطبقات الكبير، ج٣، ص٢٨٨.

(١٢) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٧٦.

(١٣) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح، التاريخ، علق عليه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م، ج٢، ص١٠٣.

(١٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م، ج٤، ص٩٩.

(ت ٧٤٨ هـ)[١٧]، وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) [١٨] أشار إلى سنة ١٨ هـ، من المؤرخين المحدثين، عمر فروخ[١٩]، ومحمد علي الصلابي[٢٠].

أما الرأي الثاني: فذهب إلى ان عام الرمادة كان سنة ١٧ هـ، واليه ذهب السيوطي (ت ٩١١ هـ) [٢١]، وتابعه محمد سعيد رمضان البوطي[٢٢]، ومن دراستنا لتاريخ عام الرمادة نستطيع ان نجزم بان عام الرمادة كان عام ١٨ هـ، وليس عام ١٧ هـ، بدليل إجماع معظم المؤرخين والمحدثين القدامى على ذلك. وما ذكره السيوطي (ت ٩١١ هـ)، وهو مؤرخ متأخر اعتمد فيه السيوطي على مؤرخ انفرد بقوله هو سيف بن عمر الذي عاش في زمن الخليفة هارون الرشيد، إذ ذهب الى ان عام الرمادة كان سنة ١٧هـ واوائل سنة ١٨هـ[٢٣].

ثالثا: سبب الأزمة الاقتصادية:

من دراستنا للمصادر التي كتبت عن الأزمة الاقتصادية في سنة ١٨ هـ، تبين ان أبرز اسبابها يتمثل في قلة الأمطار والقحط[٢٤]. ويعلل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله

---

(١٥) ابن حبان، محمد بن حبان البستي، كتاب الثقات، تحقيق ابراهيم شمس الدين وتركي، فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ج١، ص١٩٢.

(١٦) ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني، التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م، ج٢، ص٥٥٥.

(١٧) الذهبي، ابي عبد الله شمس الدين محمد بن احمد، تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الأعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ج٢، ص٦٥. وأيضا سير أعلام النبلاء، اعتنى به محمد عبادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ج٣، ص٨١.

(١٨) ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، خرج أحاديثه احمد بن شعبان بن احمد، ومحمد بن عبادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ج٧، ص٨٢.

(١٩) فروخ، عمر، تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٥.

(٢٠) الصلابي، محمد علي، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م، ص٢١٠.

(٢١) السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، تحقيق محمد محي عبد الحميد، تاريخ الخلفاء، بغداد، بلا تاريخ.

(٢٢) البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص٣٥٨.

(٢٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص١٠٠.

(٢٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٩٦، وأيضا: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٥٥، فروخ، عمر، تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية، ص١٠٥.

عنه ذلك بقوله: هي إرادة الله سبحانه وتعالى شاءت ان تحبس المطر والجفاف الذي أصاب الارض والناس، ويعزو السبب إلى تركهم التمسك بما أمرهم الله، فيرى ان أبا عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه)، كتب إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول له: "ان نفرا من المسلمين أصابهم الشراب منهم ضرار[٢٥]، وابو جندل[٢٦]، فسألتهم فتأولوا، وقالوا: خيرنا فاخترنا قال: هل انهم منتهون يعني (فانتهوا) فجمع الناس فاجتمعوا، على ان يضربوا ثمانين جلدة، فان أبى قتل، فكتب عمر إلى أبي عبيدة، ان دعهم، فان زعموا أنها حلال فاقتلهم، فان زعموا أنها حرام، فاجلدهم ثمانين جلدة، فبعث إليهم فسألهم على رؤوس الناس، فقالوا: حرام، فجلدهم ثمانين جلدة، وحد القوم، وندموا على لحاجتهم، وقال: يحدثن فيكم أهل الشام، حادث، فحدثت، "الرمادة"[٢٧].

رابعا: إجراءات عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمواجهة الأزمة الاقتصادية

يستمد جزء من قوة الاقتصاد من قوة النظام السياسي، ويشكل التنظيم عادة، وسيلة لضمان بلوغ العمل وأهدافه، وكذلك الأمر يتطلب تحفيز كل الأطراف للتفكير بالصيغ الأكثر صلاحية في تنظيم العمل، وللوفاء بمتطلباته وتحقيق أهدافه وما يتناسب مع الظروف مرصدا وإستراتيجيا[٢٨].

وتميز عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببراعته وحنكته السياسية والإدارية والاجتماعية، وإحاطته واشرافه على شؤون الرعية بنفسه إذ كان يرى ويشاهد يتجول في الاسواق[٢٩].

ويعس بالليل، ويضع نفسه في الظروف التي تكفل له ان يعيش الأوضاع الاقتصادية نفسها التي تعيش فيها الرعية، فأحس بمشكلات الناس، ووضع الحلول المناسبة

---

(٢٥) ضرار بن الازور بن مرداس بن حبيس بن عمرو، كان فارسا شجاعا، شاعرا مطبوعا، استشهد يوم اليمامة، ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق علي محمد بجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، بلا تاريخ، ج٢، ص٤٧٦.

(٢٦) ابو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي العامري، اسلم في مكة، فربطه ابوه بالحديد، تم استطاع ان يفلت مع سبعين رجلا من المسلمين وكانوا يقطعون على مر لهم من قوافل قريش وتجارتهم فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضمهم اليه فضمهم اليه، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٦٢٢.

(٢٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٩٦.

(٢٨) الظاهر، خالد خليل، عام الرمادة والأزمة الاقتصادية، ص١٨٢.

(٢٩) المرجع نفسه، ص١٨٢.

لها، وقال ابن منظور (ت ٧١١ هـ) "انه كان يعس في المدينة، أي يطوف بالليل، ويحرس الناس، ويكشف أهل الريبة"(٣٠).

وقد وصف عمر رضي الله عنه سياسته تجاه هذه الأزمة الخانقة في قوله: لئن أصاب الناس سنة لأنفقن عليهم من مال الله ما وجدت درهما، فان لم أجد ألزمت كل رجل رجلا(٣١)، وأضاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً: لو لم أجد للناس من ما يسعهم، إلا ان أدخل على كل أهل بيت عدتهم فيتقاسموا أنصاف بطونهم، حتى يأتي الله بخبر ما فعلت، فأنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم(٣٢).

ويمكن للباحث ان يلحظ الخطوات التي سار عليها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مواجهة الأزمة الاقتصادية، وكانت كالآتي:-

أ- ضرب القدوة للناس من نفسه:

أوردت الروايات التي وردتنا مواقف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فيها القدوة للناس في الصبر على الازمة ومنها مثلاً: أقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على نفسه، ان لا يذوق سمنا، ولا لبنا، ولا لحما، حتى يحيا الناس جميعا أي ان يأكل المسلمون جميعاً، السمن، اللبن، واللحم(٣٣)، فدخل يوما القهرمان(٣٤)، له السوق فاشترى وطباً من لبن، وعكة من سمن، فقال له عمر، بكم ابتعتها، قال: أربعين درهما، فقال: يا أمير المؤمنين: أبر الله يمينك وعظم أجرك، فقام عمر وبره أي وبخه، وقال: ومن أين أحيي الناس، ولم يأكل من الطعام الذي طلبه له(٣٥).

وفي رواية ثانية يضرب لنا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مثلا رائعا في البر والتضحية من اجل المسلمين، فيروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: انه قال: ان عمر رضي الله عنه دخل عليه وهو على صدر فراشه، فرحب بأمير المؤمنين،

---

(٣٠) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ٦٨، وأيضا المنجد في اللغة، ص٥٤، الظاهر، خالد خليل، عام الرمادة والأزمة الاقتصادية، ص١٨٢.

(٣١) ابن شبه، عمر بن شبه النمري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق علي محمد دندول، وياسين سعد الله بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج١، ص٣٩٤.

(٣٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٤.

(٣٣) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج٢، ص٣٩٣، وأيضا، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٥٥.

(٣٤) القهرمان، هو المسيطر الحفيظ على ما تحت يديه، أنظر الأزهري أبي منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ومحمود فرج العقدة، الدار العربية للنشر، القاهرة، بلا تاريخ، ج٦، ص٥٠٢.

(٣٥) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج٢، ص٣٩٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٥٥.

ووضع عمر يده في الطعام، فلقم لقمة وقال: بسم الله، ثم ثنى فقال لاني لاجد طعم دسم، ما هو بدسم لحم، قال: يا امير المؤمنين طلبت السمين من اللحم فوجدته غاليا، وكنت أحبه أن يتوازى أهل بيتي عظما عظما، فاشتريت بدرهم من يهودي، وحملت عليه درهما سمنا، فقال عمر رضي الله عنه، ما اجتمعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وتصدق باحدهما، وأكل الآخر، فقال له عبد الله: يا أمير المؤمنين، فوالله لاجتمعان عندي، إلا وتصدقت باحدهما، وأكلت بالآخر، فقال: ما أنا بالذي أعود عليه[٣٦]. وفي رواية: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نهى ان يجمع السمن واللحم بينهما، فدخل عبيد الله بن عمر على أخيه عبد الله بن عمر، فقرب منه خبزا ولحما، فقال عبيد الله ما أنا بطاعم طعامكما، حتى تفرغ عليه سمنا، فقال عبد الله: ألم تسمع أمير المؤمنين! قال: ما أنا فاعل، فقالت: صفية بنت أبي عبيد، لا تحرم على أخيك الطعام، قال: فجاء بسمن فافرغ، فانه لموضوع ما مسه، إذا بصوت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الباب، فقال مالكم ولطعامكم، فأهوى بيده فوجد طعم السمن، فصال على الخادمة ضربا، فقالت الخادمة: لا ذنب لي: إنما انا خادم أفعل ما أمرت به، فتركها فقال علي: ببنت ابي عبيد؟ فضربها حتى سقط حماها ثم جالت تسعى وتركض حتى دخلت البيت واغلقت الباب دونه[٣٧].

ومن هاتين الروايتين تبين حرص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على ترك الإسراف في الأكل، وصنع نوع واحد من الطعام مثل اللحم من غير أن يضاف اليه السمن.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حرم على نفسه أكل اللحم عام الرمادة، حتى يأكل الناس جميعا، وكان لابنه عبيد الله بن عمر، بهمة، وهي نوع من انواع الطيور الداجنة، فجعلت في التنور، فخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما شم رائحتها، فقال: أظن احدا من أهلي قد اجترا علي، وكان هو مع نفر من أصحابه رضوان الله عليهم، فقال عمر: لغلامه أذهب فانظر، فدخل فوجدها في التنور، فقال له عبيد الله استرني سترك الله، فقال له: قد عرف وأرسلني اليك، لن أكذبه، فاستخرجها، ثم جاء بها فوضعها بين يديه، فاعتذر الى أصحابه ان يكون قد علمه، فقال: عبيد الله: أنها كانت حقا لابني، وكنت قد اشتريتها له من شدة شهوة أكل اللحم[٣٨]، ان تقشف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم

---

(٣٦) المصدر نفسه، ص٣٩٣.

(٣٧) المصدر نفسه، ص٣٩٤.

(٣٨) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج١، ص٣٩٢-٣٩٣.

يكن مجرد عبادة، وإنما كان منهجا للرعية، من ناحية ووسيلة الإحساس بمشكلاتها من ناحية أخرى[٣٩]، ومبدأه في ذلك قوله تعالى "أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وأستمتعتم بها"[٤٠].

وقد تأثر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة، حتى تغير لونه، فروى الصحابي الجليل عياض بن خليفة[٤١]، قال: رأيت عمر عام الرمادة، وهو اسود اللون، ولقد كان ابيض، فتقول مم ذا؟ فيقول كان رجلا إعرابياً، وكان يأكل السمن، واللبن، فلما أمحل الناس اصابتهم المجاعة، حرمها حتى يحيوا، فأكل الزيت، فتغير لونه وجاع وأكثر[٤٢].

وكان أكل عمر عام الرمادة خبز وقد ثرد بالزيت حتى اذا كان يوم نحر فيه جزوراً وهي صغير الإبل فطعم الناس وغرفوا من طيبها فأتى به، فإذا قطعة من سنام وكبد، فقال: اني هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، الجزور التي نحرنا اليوم، فقال: بخٍ بخ، بئس الوالي ان أكل طيبها، وأطعمت الناس كراديسها، ارفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام، قال: فأوتي بخبز وزيت، قال: فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز، ثم قال: ويحك ما يرفأ أهل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت يثمغ[٤٣]. فاني لم أذهب إليهم منذ ثلاثة أيام، واحسبهم مفقرين، ضعها بين ايديهم[٤٤].

هذا هو الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا هو من الحكم في الاسلام، يؤقر الرعية على نفسه، فيأكلون مما يأكل، وهو الذي يحمل من اعباء الحكم والحياة، أضعاف ما يحملونه، ويعاني من ذلك أضعاف ما يعانون، وهو في ذلك لا يضع القيود على نفسه وحدها، بل يسير بها لتقيد أفراد عائلته "أسرته"، فهم في نظر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ايضا يجب ان يعانوا أكثر مما يعاني الناس[٤٥]. وذات يوم نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى بطيخة في يد بعض ولده، فقال: بخ بخ، يا أمير

---

(٣٩) الظاهر، خالد خليل، عام الرمادة والأزمة الاقتصادية، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٣٤)، ص١٨٢.

(٤٠) القران الكريم، سورة الاحقاف، الآية: ٢٠.

(٤١) عياض بن خليفة، قال عنه ابن حجر، مقبول من الطبعة الثالثة، اخرج له البخاري، حديث، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، حققه عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ج٢، ص٩٥.

(٤٢) ابن سعد، الطبقات الكبير، ج٣، ص٢٩٣.

(٤٣) موضع مال لعمر وقفه بالمدينة، الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢١١.

(٤٤) ابن سعد، الطبقات الكبير، ج٣، ص٢٩٠.

(٤٥) الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢١١.

المؤمنين تأكل الفاكهة، وأمه محمد هزلى، فخرج الصبي هاربا، وبكى، فسكت عمر بعد ما سأل عن ذلك، وقالوا له: اشتراها بكف من نوى(٤٦).

ولقد كان إحساسه بسمؤولية الحكم أمام الله عزوجل، يملك عليه شعاب نفسه، فلم يترك وسيلة من الدين والدنيا كي يواجه بها الجدب والجوع وانقطاع الأمطار الا لجأ إليها، فكان دائم الصلاة، دائم الاستغفار، دائم الحرص على توفير الاقوات والمواد الغذائية للمسلمين، وكان يفكر كثيراً في أمور رعيته، وبخاصة من زحف منهم إلى المدينة المنورة، سبب الجوع، ومن بقى منهم في البادية، يواجه العبء كله بكفاية واقتدار، ثم بعد ذلك قسوة على النفس ما أروعها من قسوة(٤٧). حتى قال من كان له علم ومعرفة في تلك الازمة الاقتصادية: لو لم يدفع الله المحل وانقطاع الأمطار، ويبس الأرض، عام الرمادة، لظننا ان عمر يموت حمسا بأمر المسلمين(٤٨). وهذا دليل وتأكيد على حرص امير المؤمنين رضي الله عنه على أرواح المسلمين ، فمثلا روي عن الامام الزهري (ت ١٢٤ هـ) (٤٩): ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يصلي من جوف الليل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان الرمادة، نقصد به عام الرمادة، وكان يقول: اللهم لا تهلكنا بالسنين وارفع عنا البلاء(٥٠)..

ب- الاستغاثة بالله:

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: عام الرمادة سنة ١٨ هـ، يا أيها الناس، أدعوا الله ان يذهب عنكم المحل، وهو يطوف أي يتجول في المدينة المنورة وعلى رقبته درة(٥١). وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى المغرب، نادى: يا أيها الناس استغفروا ربكم ثم توبوا اليه، وسلوه من فضله، واستسقوا سقيا رحمة لاسقيا عذاب، فلم يزل كذلك حتى فرج الله ذلك(٥٢).

---

(٤٦) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣٩٤.

(٤٧) الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢١١.

(٤٨) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٩٣.

(٤٩) الزهري، هو محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي، كتبه أبو بكر من حفظ أهل زمانه للسنن، وكان فقيها فاضلا، مات ١٢٤ هـ، ابن حبان، محمد بن حبان البستي، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق فلايشمهر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٦٦.

(٥٠) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٩٧.

(٥١) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٩٧.

(٥٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٩٨.

وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في عام الرمادة أيضاً: فقال: يا أيها الناس، أتقوا الله في أنفسكم، وفيما غاب عن الناس من أمركم، فقد ابتليت بكم وما ادري ابتليتم بي، فما أدري السخطة علي دونكم او عليكم دوني، او قد عمتني وعمتكم، فمهلوا، فلندع الله يصلح قلوبنا، وان يرحمنا، وان يرفع عنا المحل، قال: فرئي عمر يومئذ رافعا يديه يدعوا الله، ودعا الناس، وبكى وبكى الناس مليا، ثم نزل من المنبر(٥٣).

روى الإمام الشعبي (ت ١٠٤ هـ) (٥٤): ان عمر رضي الله عنه: قام على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ هذه الآيات: " اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا "(٥٥)، وقوله تعالى " اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ "(٥٦)، ثم نزل من المنبر فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما منعك ان تستيقي؟ قال: طلبت المطر(٥٧)، بمحاديج السماء التي ينزل بها المطر(٥٨).

وقال زيد بن أسلم(٥٩) عن أبيه(٦٠): قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أيها الناس أني أخشى ان تكون سخطة عمتنا فاكتبوا ربكم وأفزعوا اليه وأحدثوا خيرا(٦١).

ج- صلاة الاستسقاء في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لما اجمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على أن يستسقى ويخرج للناس، كتب إلى عماله، ولاة الأقاليم، ان يخرجوا يوم كذا، وساعة كذا، وان يتضرعوا إلى الله ويطلبون أن يرفع المحل عنهم وقلة الأمطار عنهم، قال: وخرج ذلك وعليه برد رسول الله صلى الله عليه

---

(٥٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٩٩.

(٥٤) الشعبي: هو عامر بن شراحيل، ثقة مشهور، فقيه فاضل، مات سنة ١٠٤ هـ، ابن حجر، تقديس التذهيب، ج١، ص٣٨٧.

(٥٥) القران الكريم، سورة نوح، الآية: ١٠.

(٥٦) القران الكريم، سورة هود، الآية: ٣.

(٥٧) محاديج السماء: أنواءها أرسلت السماء بمحادجها، الصلابي، سيرة عمر بن الخطاب، ص٢١٥.

(٥٨) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣٩٨.

(٥٩) زيد بن اسلم العلوي، مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقيه عالم وهو ابو أسامة مات سنة ٣٦ هـ، ابن حجر، تقريب التهذيب، ج١، ص٢٧٢.

(٦٠) اسلم مولى عمر، عمر اشترى اسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي، الإصابة في تميز الصحابة، أعادت طبعه مكتبة المثنى، بغداد، طبع في المغرب الأقصى، في ثغر طنجة، الطبعة سنة ١٣٢٨ هـ، ج١، ص٣٨.

(٦١) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣٩٩.

وسلم، حتى انتهى الى المصلى، فخطب الناس وتضرع الى الله، وجعل الناس يلحون، في طلباتهم الى الله، فما أكثر دعاءه الى الاستغفار، حتى قرب ان ينصرف، رفع يديه مرا، وحول رداءه فجعله الى اليمين، الى اليسار، ثم من اليسار إلى اليمين، ثم مرّ يديه، وجعل يلح في الدعاء، وبكى عمر بكاء طويلا حتى أخضلت لحيته(٦٢).

وخرج معه العباس بن عبد المطلب(٦٣)، فخطب وأوجز وصلى ثم ثنى على ركبتيه، وقال: اللهم عجزت عنا انصارنا، وعجزنا حولنا، وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم فاستقنا واحيي البلاد والعباد، ثم أخذ بيد العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وان دموع العباس لتتحدر على لحيته، فقال: اللهم نتقرب بعم نبيك صلى الله عليه وسلم، هو وبقية أباءه، فانك تقول وقولك الحق: "وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا"(٦٤) فحفظتهما بصلاح أبائهما، فاحفظ اللهم نبيك صلى الله عليه وسلم في عمه، فقد لذنا به اليك، مستشفعين مستغفرين، ثم أقبل على الناس، فقال: استغفروا ربكم انه كان غفارا(٦٥). وكان العباس قد طال وعمر، وعيناه تذرفان الدمع، ولحيته تجول على صدره، وهو يقول: اللهم انت الراعي فلا تهمل الضالة، ولا تدع الكبر بدار مضيعة، فقد فزع الصغير، ورفق الكبير، وارتفعت الشكوى، وانت أعلم السر وأخفى، اللهم فاغثم بغياثك، قبل ان يقطنوا فيهلكون فانه لا ييأس من روحك الا القوم الكافرون(٦٦).

فنشأت طيرة من سحاب، فقال الناس: ترون، ثم التأمت ومشت فيها ريح، ثم هدأت، فأمطرت فوالله ما نزحوا، حتى اعتنقوا الجدار، وقلصوا المأزر، فطفق الناس بالعباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم هنيئا لك يا ساقي الحرمين، فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقي الحجاز وأهله عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا إليه فما قام حتى أتى ا لمطر

---

(٦٢)ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣٩٨.

(٦٣) خليفة بن خياط، التاريخ، ص٧٦، وأيضا ابن حبان، الثقات، ج١، ص١٩٢، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٢، ص٦٥، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٨١.

(٦٤) القران الكريم، سورة الكهف، الآية: ٦٢.

(٦٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٥٧.

(٦٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٥٧.

ومنا رسول الله فينا تراثه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر[٦٧]

وجاء في رواية أخرى، صفة ما دعا به العباس بن عبد المطلب في هذه الواقعة وهو قوله: اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة، وقد توجه القوم بي اليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث، فأرخت السماء، مثل الجبال، حتى أخضب وعاش الناس[٦٨].

ويروي ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال في دعاء الاستسقاء، "اللهم انا نتقرب إليك بعم نبيك، فلا تخيب ظنهم في رسولك"[٦٩]. وهذا قول صريح ومنهج واضح في حياة الأمة ودليل عملي اقتصادي في معالجة الأزمات، بالاشتراك مع الناس جميعا، فيما بينهم من مسؤولية الدولة وتدخلها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية[٧٠].

وفي رواية عمر بن شبة: ان عمر رضي الله عنه خرج يستسقي فتبعناه فلم يزل رافعا صوته ويديه: يقول: اللهم اغفر لنا انك كنت غفارا، حتى أتى الى المصلى يستسقي ويدعوا الناس معه، قال فلبثنا أياما، فانشأ الله سبحانه وتعالى سحابة بين الشام واليمن، ثم ساقها الله، حتى أمطرت البلاد بإذن الله وسالت السيول وسال بطحان[٧١]، والأودية التي معه، فخرج عمر رضي الله عنه الى بطحان، ينظر الى رحمة الله، ومواقع السيل، ويحمد الله ويثني عليه، ويكبر[٧٢].

د- طلب المساعدة والنجدة من أهل الأمصار:

كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله في الأقاليم الغنية "تقصد بالأقاليم التي فيها أموال من زراعة، وصناعة، وتجارة، يطلب منهم المساعدة وبستغيثهم، فكتب إلى كل عامل من عماله على بلاد الشام، ابعث إلينا من الطعام بما يصلح من قبلنا، فإنهم قد هلكوا، إلا ان يرحمهم الله، وكتب الى عماله في العراق وفارس مثل ذلك، فكلهم أرسلوا إليه[٧٣]. وذكر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، ان أول من قدم إليه هو أبو عبيدة بن الجراح،

---

(٦٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٥٧.

(٦٨) الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢١٦.

(٦٩) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص١٥٠.

(٧٠) الظاهر، خالد خليل، عام الرمادة والازمة الاقتصادية، ص١٨٣.

(٧١) بطحان وهو وادي قرب المدينة، الحموي شهاب الدين بن ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ، ج١، ص٤٤٧.

(٧٢) ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٣٩١.

(٧٣) الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢١٣.

في أربعة آلاف راحلة، فولاه عمر في قسمتها حول أطراف المدينة، فلما أكمل توزيع المواد رجع إليه، ثم أمر له فيها بأربعة آلاف درهم، فقال لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين، إنما أردت الله وما قبله، فلا تدخل علي الدنيا، فقال خذها فلا بأس في ذلك إذا لم تطلبه، فأبى، فقال: خذها فاني قد وليت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل هذا، فقال لي مثل ما قلت لك، فقلت له: كما قلت لي فأعطاني، فقبل أبو عبيدة وانصرف مع عماله، فتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز(٧٤).

وكان والي بلاد الشام معاوية بن ابي سفيان قد بعث، الطعام من ولايته، فبعث الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من يتلقاه بافواه الشام، يصنع كالذي يصنع عمر، وكانوا يطعمون الناس الدقيق، وينحرون لهم الجزر، ويكسونهم العباءة(٧٥)، وبعث والي العراق سعد ابن أبي وقاص بمثل ذلك، فارسل اليه من لقيه بافواه العراق، فجعلوا ينحرون الجزر، ويكسونهم العباءة، حتى رفع ذلك القحط عن المسلمين(٧٦). وكتب الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص والي مصر، عام الرمادة بسم الله الرحمن الرحيم: سلام عليك، أما بعد أفتراني هالكا ومن قبلي وتعيش أنت ومن قبلك؟ فيا غوثاه ثلاثا، قال: فكتب اليه عمرو بن العاص: بسم الله الرحمن الرحيم: لعبد الله أمير المؤمنين، من عمرو بن العاص، سلام عليك، فاني احمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعدك: أتاك الغوث، فالريث، الريث، لابعثن إليك بحمل الف بعير قافلة اولها عندك واخرها عندي(٧٧). مع أني أرجوا ان أجد سبيلا ان احمل في البحر، فبعث عمرو بن العاص: على البر ألف بعير تحمل الدقيق، وبعث في البحر عشرين سفينة تحمل الدقيق والزيت، وأرسل مع المواد بخمسة الاف كساء(٧٨).

وشرع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في توزيع الاكل والمواد الغذائية على أهل المدينة ومن لاذوا بها من الإعراب، وسير جزءا آخر من المواد إلى البادية، وكان قد أمر بتوزيعه على أحباء العرب جميعا، وقال الزبير بن العوام رضي الله عنه: قال لي عمر عام الرمادة، وقد أمرني بقيادة قافلة من الابل فيها الدقيق والسمن لنجدة اهل البادية، وقال لي أخرج في أول هذه العير (القافلة) فاستقبل بها نجدا، فاحمل إلى كل أهل بيت، قدر ان

(٧٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص١٠٠.
(٧٥) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٨٩-٢٩٠.
(٧٦) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٩٠.
(٧٧) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٨٩-٢٩٠.
(٧٨) الصلابي، سيرة عمر بن الخطاب، ص٢١٣.

تحمل لي، وان لم تستطيع حمله، فمر لكل بيت بعيد ما عليه من المتاع، ومدهم بالأكسية فيلبسون كساء واحد في الشتاء، والآخر في الصيف، وينحرو البعير فليحفظوا شحمه، وليقددوا لحمه، ثم ليأخذوا شحما ودقيقا فيطبخوا ويأكلوا حتى يأتيهم الله برزقه[٧٩]، وجعل عمر رضي الله عنه يرسل إلى الناس مؤونة شهر بشهر، مما يصله من الأمصار من الطعام والكساد، واستمرت القدور العمرية الضخمة، يقوم عليها عمال مهرة يطبخون من بعد صلاة الفجر، ثم يوزعون الطعام على الناس[٨٠].

و- توزيع المساعدات الاقتصادية على الأعراب:

قدم الإعراب عام الرمادة إلى عمر رضي الله عنه من كل ناحية ، قد أمر رجالا يقومون بمصالحهم، فكان يقول لهؤلاء الرجال: أحصوا من تعشى عندنا، فاحصوهم من القابلة، فوجدوهم سبعة الاف رجل، ثم أحصوا الرجال والمرضى والنساء والعيالات فكانوا أربعين الفاً، ثم بعد ايام بلغ الرجال والعيال ستين الفاً، فما برحوا المدينة حتى أرسل الله المطر، فلما أمطرت وكّل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قوماً من هؤلاء النفر بناحيتهم يخرجون الى البادية ويعطونهم قوتا أي طعاماً، محملة على الابل الى باديتهم، وكان عمر يخرجهم بنفسه، وكان عمال عمر رضي الله عنه، يعملون الطعام والعصائد ويطعمونها للناس، وكان عمر رضي الله عنه يأمر بالزيت فيقار في اقدور الكبار حتى تذهب حمته وحره، ثم يثرد الخبز ثم يؤدم الطعام بالزيت[٨١]، وشاركه في هذه الأعمال من الصحابة رضي الله عنه المسور بن محزمة[٨٢]، عبد الرحمن بن عبد القارئ[٨٣]، وعبد الله بن عتبة بن مسعود[٨٤]، في حين ساعده غيرهم في توزيع المواد الغذائية على الناس. وكان هؤلاء الصحابة امراء على نواحي المدينة، يتفقدون احوال الناس الذين اجتمعوا حولها هربا من

---

(٧٩) الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢١٤.

(٨٠) المصدر نفسه، ص٢١٤.

(٨١) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٩٥.

(٨٢) المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي، ولد بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، مات سنة ٦٥ هـ بعد ان اصيب بضربة منجنيق في مكة، ابن حجر الإصابة في غير الصحابة، ج٣، ص٤١٩-٤٢٠.

(٨٣) عبد الرحمن بن عبد القارئ، والقارة هم بنو الهون بن خزيمة، وكان على بيت المال في زمن عمر بن الخطاب، وهو من جلة التابعين وعلمائها، توفى سنة ٨١ هـ، ابن عبد البر الاستيعاب معرفة الاصحاب، ج٢، ص٨٣٩.

(٨٤) عبد الله بن عتبة بن مسعود، بن أخي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، انما هو تابعي من أتباع الكوفة، ولد في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم عاش خمس سنوات من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عبد البر، الاستيعاب في مدينة الأصحاب، ج٣، ص٩٤٦.

المجاعة وطلبا للرزق ويشرفون ايضا على تقديم الطعام والادام، فاذا امسوا التقوا بعمر عارضين عليه ما واجههم من مشكلات آخذين بمشورته وتوجيهه في حلها [٨٥].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطعم الإعراب من دار الدقيق وهي من المؤسسات الاقتصادية التي كانت ايام عمر رضي الله عنه، توزع على هؤلاء الوافدين على المدينة من الدقيق والسويق والتمر، والزبيب، وهي مخزونة في الدار، قبل ان تأتي المؤن من مصر والشام والعراق وخرسان، وهذا يدل على عقلية عمر بن الخطاب العبقرية في تطوير مؤسسات الدولة الاقتصادية وغيرها[٨٦]. وكان عمر يشتغل في هذه المؤسسات بنفسه.

قال الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه: يرحم الله ابن حنتمة لقد رأيته عام الرمادة وانه يحمل على ظهره جرتين وعكة زيت في يده، وانه ليتعقب هو ومولاه أسلم، فلما رأني قال: من اين يا ابا هريرة؟ قلت قريبا، قال فأخذت اعقبه فحملناه حتى انتهينا، الى منطقة، فإذا صرم[٨٧] فيها نحو عشرين بيتا من بني محارب. فقال لهم عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد، فاخرجوا لنا جلدا من جلود الأغنام الميتة، وكان مشويا ويأكلونه ومعه رمة عضام مسحوقة، وكانوا يأكلونها، فرأيت عمر رضي الله عنه طرح رداءه ثم اتزر، فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا، ثم أرسل إلى المدينة فجاء بابعرة "يعني عدداً من الأبل" فحملهم عليها، حتى أنزلهم منطقة الجبانة[٨٨]. ثم كساهم بالملابس الموجودة في بيت مال المسلمين، حتى رفع الله عنهم الأزمة الاقتصادية[٨٩].

ط- وقف حد السرقة:

أوقف عمر رضي الله عنه حد السرقة في عام الرمادة، وهذا ليس تعطيلا لهذا الحد، كما يكتب البعض لان شروط التنفيذ لم تكف متوفرة، فالذي يأكل ما يكون ملكا لغيره بسبب شدة الجوع، وعجزه عن الحصول على الطعام، يكون غير مختار فلا يقصد السرقة، ولهذا مثلا لم يقطع عمر رضي الله عنه يد الرقيق "العبيد" الذين أخذوا الناقة وذبوحها، ولكن

---

(٨٥) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٩٤.

(٨٦) الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢١٢.

(٨٧) صرم: تعني دخيل، الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٢، ص١٨٤.

(٨٨) الجبانة: الجبان الصحراء، وكانت تسمى جبانة كنده، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٩٩.

(٨٩) ابن سعد، الطبقات الكبير، ج٣، ص٢٩٢، وأنظر، الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢١٢.

أمر سيدهم حاطب بن ابي بلتعة[٩٠] ان يدفع ثمنه، وقد قال عمر رضي الله عنه: لا يقطع في غدق[٩١]. ولا سنة الجدب والمجاعة[٩٢].

و- تأخير دفع الزكاة:

لم يلزم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس بدفع الزكاة الا بعد ان انتهت عام الرمادة إلا انتهت المجاعة وخصبت الأرض، بعد ذلك أمر في جمع الزكاة عام الرمادة ثم أخذها منهم بعد ان عدها دينا في ذمة القادرين منهم حتى يسد العجز، لدى الأفراد المحتاجين، وليبقي في بيت المال رصيدا بعد ان انفقه كله على الناس[٩٣].

قال يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: ان عمر رضي الله عنه كان قد أمر بتأخير صدقة عام الرمادة، فلم يلبث السعاة "جامعي اموال الصدقات، فلما كان عام قابل، ورفع الله ذلك الجدب، أمرهم ان يخرجوا عقالين[٩٤]. فامرهم ان يتسموا عقالا. ويقوموا عليه بعقال[٩٥]: فما وجد في بني فرازة، كلها إلا ستين فريضة، فقسم ثلاثون، وقدم عليه الساعي بثلاثين الباقية[٩٦].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث مصدقا عام الرمادة، فقال له: اعط من أبقت له السنة غنما وراعيا، ولا تعط من ابقت له السنة غنمين وراعين[٩٧].

إذا نستطيع ان نقول ان هي تلك القيادة الناجحة، والقدوة الحسنة، وذلك هو القرار والإرادة الفاعلة، والإجراءات الهادفة في تنظيم شؤون الأمة، واشراف الدولة العربية الاسلامية على حاجة الناس، والسهر على أمنهم وراحتهم، هذا ما تم وحصل في عام الرمادة، حتى قضى الله أمرا مفعولا، وانفرجت الأزمة الاقتصادية، ورجعت الامور عادية الى حالتها

---

(٩٠) حاطب بن ابي بلتعة اللخمي، صحابي جليل شهد بدراً، وصلح الحديبية ومات بالمدينة سنة ٣٠ هـ، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج١، ص٣١٢.

(٩١) عذق: غصن من النخلة ولا قطع فيه لانه مادام معلقا في الشجرة فليس في حرز، انظر، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري، لسان العرب، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، بلا تاريخ، كلمة غدق، ج١٢، ص١٠٩.

(٩٢) الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢١٦.

(٩٣) الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢١٧.

(٩٤) عقال: صدقة عام، وانه كان على كل صاحب ابل ان يؤدي على كل فريضة عقالا تعقل به، الأزهري، تهذيب اللغة، ج١، ص٢٣٩، كلمة عقل.

(٩٥) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣٠٠.

(٩٦) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٠٠.

(٩٧) ابن سعد، الطبقات الكبير، ج٣، ص٣٠٠.

الطبيعية، وانتهت ازمة عام الرمادة بفضل الله سبحانه وتعالى واستطاع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتلك الإجراءات الاقتصادية المهمة التي عمل بها من أجل تجاوز الأزمة الاقتصادية، وكان قد سهر الليالي وعمل جاهدا، وصابرا من أجل تجاوز أزمة عام الرمادة، وقلة الامطار في تلك السنة سنة ١٨ هـ من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

خاتمة البحث

من خلال دراستنا عن الأزمة الاقتصادية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨ هـ، توصلنا من خلال الدراسة إلى النتائج والاستنتاجات التالية:

١- معالجة اصل المشكلة وهذا الشيء ظاهر في عزوه القحط وقلة الأمطار إلى المعاصي، فكان علاجه بالدعاء والتضرع إلى الله وطلب كشف البلاء.

٢- الصبر والاحتمال والتسليم لقضاء الله حتى يأتي الفرج، وبرز ذلك في ضرب القدوة الصالحة من نفسه لما حرم على نفسه اللحم والدسم حتى يأكله المسلمون.

٣- المعالجات الاقتصادية:

أ. الاستعداد المسبق لمثل هكذا مواقف، وتوزيع المواد الغذائية على الإعراب وهذه وسيلة اقتصادية مخططاً لها.

ب. التعويل على موارد الدولة أو اقتصاد الدولة من الأقاليم الأخرى والبلاد الأخرى ، وذلك ماثل حين يرسل إلى مصر وغيرها من الأقاليم طلبا للمساعدة.

ج. إتاحة الفرصة أمام الناس كي يجوزوا الأزمة بلا مشقة وذلك ماثل في إيقاف حدا للسرقة.

د. تأخير دفع الزكاة عاما واحدا.

ثبت المصادر والمراجع

القران الكريم

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م).

١- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.

- الأزهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠هـ /١٩٧٢م).

٢- تهذيب اللغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ومحمود فرج، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، بلا تاريخ.

- ابن حبان، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ/ ١٩٦٦م).

٣- الثقات، تحقيق إبراهيم شمس الدين، وتركي فرحان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤- مشاهير علماء الأمصار، تحقيق فلايشمهر، القاهرة، ١٩٥٩م.

- البوطي، محمد سعيد رمضان،

٥- فقه السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار السلام للطباعة، مصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٦- الإصابة في تميز الصحابة، طبع في المغرب الاقصى، بثغر طنجة، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، سنة ١٣٢٨هـ.

٧- تقريب التهذيب، حققه عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٥م.

- خليفة بن خياط، ابو عمر الملقب بشباب، (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)،

٨- التاريخ راجعه وضبطه مصطفى نجيب فواز، وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- الذهبي، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

٩- تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الاعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٠- سير اعلام النبلاء، اعتنى محمد بن عبادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ).
١١- الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- الزركلي، خير الدين.
١٢- الأعلام، بلا مكان، بلا تاريخ.
- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).
١٣- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي عبد الحميد، بغداد، ١٩٨٣م.
- ابن شبه ابو زيد، عمر بن شبه النميري (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م).
١٤- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق علي محمد دندول، وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- الصلابي، محمد علي.
١٥- فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.
- الطبري، ابو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
١٦- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ظاهر، خالد خليل.
١٧- عام الرمادة والأزمة الاقتصادية، سنة ١٨ هـ، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٣٤)، السنة الثالثة عشر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٥م).
١٨- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق محمد علي بجاوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، بلا تاريخ.
- فروخ، عمر.
١٩- تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
٢٠- البداية والنهاية، خرج أحاديثه احمد بن شعبان بن احمد، ومحمد بن عبادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
٢١- المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).
٢٢- لسان العرب، المحيط، نشره يوسف الخياط، بيروت، لسان العرب، ١٩٥٥م.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين بن ابي عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

٢٣- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

- اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م).

٢٤- التاريخ، علق عليه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.